حوار

تقاليد التنوير الأوروبي ومخاطر الليبرالية الجديدة

(حوار بين غونتر غراس وبيير بورديو)

فقد العالم، بوفاة بيير بورديو (١٩٣٠-٢٠٠٢)، أبرز علماء الاجتماع، كما فقد اليسار الأوروبي أكثر أصواته حماسة ونفوذا على مدار العقد الماضي. درس بورديو، المولود في بقعة نائية في جنوب غرب فرنسا، الفلسفة في شبابه، لكن تجربة حرب الجزائر ـ عمل لفترة من الوقت معلما في مدرسة بالجزائر ـ جعلت منه عالم اجتماع. كان كتابه الأول المنشور في ذروة الحرب، وفي عام الإطاحة بالجمهورية الرابعة، بعنوان سوسيولوجيا الجزائر. وبداية من أواسط الستينات فصاعدا نشر سلسلة من الدراسات عن المجتمع الفرنسي، كانت علامتها الفارقة منذ اللحظة الأولى، ذلك المزيج اللافت للنظر من البحث التجريبي، والطموح النظري.

كانت مسألة اللامساواة قوّة الدفع في عمله، وعلى مدار حياته ـ ويمكن قراءة كتاباته كاستقصاء واحد مطوّل حول أشكالها المزدوجة وآلياتها في المجتمعات الرأسمالية الحديثة. وقد ركّز بورديو قبل هبة مايو ـ يونيو ١٩٦٨ بفترة طويلة على الجسم الطلابي (les Heritiers) من خلال استفسار نقدي شمل التعليم في وقت لاحق (La Reproduction) وطبقة الأساتذة (Homo Academia). كما كتب مجموعة من الأبحاث الرئيسة في الحقل الثقافي للفن جرت بلورتها بموازاة النصوص حول التعليم، بداية من التصوير، وصولا إلى ذائقة المتاحف (Lamore de l'art) و(La Distinction) وظهور مفهوم جديد للأدب في القرن التاسع عشر (Les Regles de L'art).

سياسيا، كان بورديو، دائما، في جهة اليسار. أصابه السأم من تجربة النظام الاشتراكي في سنوات ميتران، واتخذت كتاباته طابعا راديكاليا بصورة متزايدة في التسعينات. وقد أشار اتهامه الكبير، أي كتاب بؤس العالم، حول العواقب الإنسانية للنظام الليبرالي الجديد، الذي طبقته الاشتراكية الفرنسية، إلى هذا التغيّر في الموقف. وفي عام ١٩٩٥ لعب دورا كبيرا في الحصول على دعم المثقفين لحركة الإضراب الكبرى ضد حكومة جوبيه، وأصبح منذ ذلك الوقت المنظم والناطق الذي لا يكل باسم المعارضة السياسية لحكومة جوسبان، الذي شعر

بمرارة شخصية تجاهه. شن بورديو، مؤسس شبكة Raisons d'Agir للقيام بتدخلات سريعة، ومنظم «يسار اليسار»، والمدافع عن وجود حركة اجتماعية أوروبية، في سنواته الأخيرة هجمات عنيفة على فساد أجهزة الإعلام الفرنسية وسير الانتلجنسيا الفرنسية مع التيار ـ كلاب الحراسة الجدد، عنوان كتاب سيرج حليمي في سلسة Raisons d'Agir ـ مما عاد عليه بكراهيتهم الشديدة. في الصفحات التالية حوار أجراه في عام ١٩٩٩ مع الكاتب الألماني غونتر غراس، الفائز بجائزة نوبل للآداب، ونشرته مجلة «نيو لفت ريفيو» ٢٠٠٢.

تقاليد التنوير الأوروبي ومخاطر الليبرالية الجديدة

غراس: من غير المألوف في ألمانيا جلوس عالم اجتماع وكاتب معا. يجلس الفلاسفة في ركن، ويجلس علماء الاجتماع في ركن آخر، بينما يتشاجر الكتّاب في الغرفة الخلفية. إن نوعية الحوار الذي نجريه هنا نادرة الحضور. ولكن عندما أفكر في كتابك «ثقل العالم»، أو في أحدث كتبي «قرني»، أرى قاسما مشتركا بيننا: كلانا يروى قصصا من القاع، نحن لا نخاطب الناس بطريقة متعجرفة، أو بطريقة المنتصر. كلانا سئ السمعة في مهنته، لأنه يقف إلى جانب الخاسرين، إلى جانب المهمّشين والمنبوذين خارج المجتمع.

كبحتم في «ثقل العالم، أنت وبقية الكتاب المشاركين، فرديتكم الخاصة، وركّزتم على فكرة التفهم، بدلا من التركيز على أولوية المعرفة ـ وهي نظرة إلى الأوضاع الاجتماعية في فرنسا يمكن تطبيقها في بلدان أخرى ـ ككاتب، تستهويني فكرة استخدام قصصك كمادة خام ـ وصف شارع جونكويل، مثلا، حيث عمال الحديد من الجيل الثالث غالبا ما يجدون أنفسهم معزولين عن المجتمع، وفي صفوف العاطلين عن العمل. أو، إذا شئت حالة أخرى، قصة الشابة التي تأتي من الريف إلى باريس، وتعمل على تصنيف الرسائل في وردية الليل. لقد جرى توظيف جميع الشابات الأخريات، هناك، على أمل العودة تحقيق الحلم، والعودة إلى القرى بعد سنوات قليلة، لكن ذلك لن يحدث أبدا، وسيبقين مصنفات للرسائل على الدوام. بوصفكم لمكان العمل، من الواضح أنكم تثيرون المشاكل الاجتماعية دون استخدام الشعارات. أحببت ذلك كثيرا، وأتمنى لو كان لدينا كتاب كهذا حول العلاقات الاجتماعية في بلدي. وفي الواقع، يجب أن يوجد كتاب كهذا في جميع البلدان، وربما مكتبة كاملة تجمع دراسات اجتماعية تفصيلية حول نتائج الإخفاق السياسي ـ السياسة التي تمت إزاحتها بالكامل لصالح الاقتصاد ـ وربما كان السؤال الوحيد الذي يتبادر إلى الذهن حول منهج علم الاجتماع بشكل عام: لا وجود لروح الدعابة في ذلك النوع من الكتب. كوميديا الفشل، التي تلعب دورا كبيرا في قصصي غائبة عن تلك الكتب ـ وكذلك الأشكال العبثية الناجمة عن تقابل أشياء بطريقة عكسية، كيف نفسر هذا الغياب؟

بورديو: قد تكون عملية تدوين التجارب مباشرة من أصحابها تجربة غامرة في حد ذاتها:

فمن غير الممكن البقاء على الحياد. وقد شعرنا بضرورة حذف العديد من الحكايات لأنها كانت جارحة جدا، ومليئة بالألم أو الأشياء المؤثرة.

غراس: عندما أقول روح الدعابة، أعني أن المأساة والملهاة ليست تعريفات حصرية، فالحدود بين الجانبين مائعة.

بورديو: أردنا أن يرى القرّاء العبثية في حالتها الخام، لا في شكل مصقول. أحد التعليمات التي أصدرناها لأنفسنا كانت ألا نلجأ إلى التعبير الأدبي. قد تجد ما أقول مثيرا للصدمة، ولكن هناك دائما غواية أن يكتب الإنسان بطريقة جيدة عندما يجابه مشاكل درامية من هذا النوع. كان الأمر يقضي أن نكون مباشرين بأقصى ما نستطيع من القسوة، لنعيد إلى تلك القصص ما تنطوي عليه من عنف غير مألوف، وغير محتمل تقريبا. وقد فعلنا ذلك لسببين: الأوّل علمي، والثاني، كما أعتقد، أدبي. أردنا نزع الأدبية لنكون أدبيين بطريقة أخرى. كان لدينا أسباب سياسية، أيضا: اعتقدنا أن العنف الذي جلبته السياسة الليبرالية الجديدة في أوروبا وأميركا اللاتينية، والكثير من البلدان الأخرى، كبير إلى حد أننا لا نستطيع القبض عليه بالتحليل المفهومي المجرّد. إن ما يوجه من انتقادات إلى السياسة الليبرالية الجديدة لا يوازي نتائجها الوخيمة.

غراس: هذا الأمر موجود في كتابك. فالشخص الذي يجري المقابلة غالبا ما يعجز عن الرد بسبب الجواب الذي يحصل عليه، لذلك يكرر نفسه، أو يفقد بوصلة التفكير، لأن ما يسمعه يتم التعبير عنه بقوة المعاناة الداخلية. والجيد أن من يجري المقابلة لا يتدخل عند هذا الحد لإعادة تأكيد سلطته، أو فرض وجهة نظره. ومع ذلك أود الكلام أكثر حول سؤالي السابق ـ كلانا ـ أنت كعالم اجتماع وأنا ككاتب ـ من أبناء التنوير، الميراث الذي يوضع موضع التساؤل في الوقت الحاضر، في فرنسا وألمانيا على أقل تقدير، كأن عملية التنوير الأوروبية قد فشلت، أو جرى اختزالها، أو كأننا نستطيع الاستمرار بدونها. لا أوافق. أرى نقائص، تطوّرات ناقصة في عملية التنوير ـ الحط، على سبيل المثال، من شأن العقل لصالح ما هو متاح تقنيا. لقد ضاع الكثير على مر العصور من أشكال التصوّر الموجودة منذ بداية التنوير ـ أفكر، هنا، بمونتانيه ـ وكانت روح الدعابة من بين الأشياء الضائعة. «كانديد» فولتير، أو «جاك القدري» لديدرو، مثلا، كتابان تظهر فيهما ظروف العصر بطريقة مرعبة، بيد أنهما يظهران مثابرة الإنسان على عرض الساخر، وبهذا المعنى، المنتصر، حتى بواسطة الإخفاق والألم. وأعتقد أن من بين العلامات التي تدل على خروج قطار التنوير عن سكته نسيان كيفية الضحك، الضحك رغم الألم. ضاعت ضحكة المهزوم المنتصرة في عملية التنوير.

بورديو: ولكن ثمة صلة بين هذا الإحساس بفقدان ميراث التنوير، والانتصار الكوني للرؤيا الليبرالية الجديدة. أنظر إلى الليبرالية الجديدة كثورة محافظة ـ بالطريقة التي استخدم فيها

التعبير بين الحربين الأولى والثانية في ألمانيا ـ ثورة غريبة تعيد إحياء الماضي، لكنها تقدّم نفسها باعتبارها تقدمية. تحوّل النكوص نفسه إلى شكل من التقدم. وهي تفعل ذلك بكفاءة عالية إلى حد يبدو معه معارضوها أنفسهم وكأنهم من دعاة النكوص. وقد عانينا كلانا من هذه التهمة، ينظرون إلينا كشخصين من طراز قديم، «كمرتدين»، ومن دعاة الماضي.

غراس: ديناصوران.

بورديو: بالضبط. هنا تكمن القوة العظمى للثورات المحافظة، الإحياء «التقدمي» للماضي. حتى بعض ما ذكرته الآن متأثر بهذه الفكرة ـ يقال لنا نحن نفتقر إلى روح الدعابة. ومع ذلك لا شئ يثير الضحك في هذه الأزمنة. لا يوجد ما يثير الضحك في الواقع.

غراس: لم أقصد القول إننا نعيش في أزمنة سعيدة. الضحكة الجهنمية التي قد يثيرها الأدب طريقة أخرى للاحتجاج على الأوضاع التي نحياها. لقد تكلمت عن الثورة المحافظة. وما يجري تسويقه اليوم باسم الليبرالية الجديدة يمثل، ببساطة، العودة إلى أساليب ليبرالية مانشستر في القرن التاسع عشر، نتيجة قناعة بإمكانية أعادة التاريخ إلى الوراء. جرت في الخمسينات والستينات، وحتى في السبعينات، محاولات ناجحة نسبيا لإضفاء مسحة حضارية على الرأسمالية في أوروبا. وإذا افترضنا أن الاشتراكية والرأسمالية طفلتان بارعتان لعصر التنوير، يمكن القول أنهما فرضتا بعض القيود على بعضهما. حتى الرأسمالية وجدت نفسها مضطرة للقبول بمسؤوليات معينة والعناية بها. أطلقوا على هذا الوضع في ألمانيا تسمية اقتصاد السوق الاجتماعي، وحتى بين المسيحيين الديمقراطيين كانت ثمة قناعة بضرورة عدم تمكين الظروف التي سادت في جمهورية فايمار من العودة مرّة أخرى. تحطم هذا الإجماع في مطلع الثمانينات، ومنذ انهيار المنظومة الشيوعية، شعرت الرأسمالية ـ المسماة ليبرالية جديدة ـ وكأنها تستطيع أن تفعل ما يحلو لها بلا قيد ولا شرط. لا يوجد في الوقت الحاضر ثقل مضاد لها. واليوم، حتى البقية القليلة الباقية من الرأسماليين العقلاء، ترفع علامة التحذير، وهي ترى الوسائل تفلت من قبضتها، وترى كيف تعيد الليبرالية الجديدة أخطاء الشيوعية ـ تصدر فتاوى تنكر وجود بدائل للسوق الحرّة، وتعصم نفسها من الأخطاء. الكاثوليك يتصرفون بالطريقة نفسها في بعض عقائدهم الجامدة، وكذلك تصرف بيروقراطيو اللجنة المركزية في أزمنة سابقة.

بورديو: نعم، لكن قوّة الليبرالية الجديدة تكمن في حقيقة أن تطبيقها، على الأقل في أوروبا، تم على يد أشخاص يصفون أنفسهم بالاشتراكيين. شرويدر، بلير، وجوسبان، كلهم يدعي الاشتراكية لتطبيق سياسة الليبرالية الجديدة، مما يجعل التحليل النقدي في غاية الصعوبة، لأن كافة تعبيرات السجال، أقولها مرّة أخرى، قلبت رأسا على عقب.

غراس: تحدث الآن عملية استسلام أمام السوق.

بورديو: وفي الوقت نفسه أصبح من الصعب اتخاذ وقفة نقدية على يسار حكومات الاشتراكية ـ الديمقراطية. في فرنسا، عبأت اضرابات العام ١٩٩٥ قطاعات عريضة من العمّال، من المستخدمين وكذلك المثقفين. ومنذ ذلك الحين، ظهرت سلسلة كاملة من الحركات ـ حركات العاطلين عن العمل، الذين نظموا مسيرة احتجاجية على صعيد أوروبا، وحركة sans-papiers الخ. حصل نوع من القلق الدائم، مما أرغم الاشتراكيين الديمقراطيين في السلطة على التظاهر بتبني الخطاب الاشتراكي، على الأقل. لكن هذه الحركة النقدية ما زالت ضعيفة جدا من ناحية عملية ـ بالدرجة الأولى لأنها ما زالت محصورة في النطاق القومي. ويبدو لي أن أحد الأسئلة السياسية الأساسية التي تواجهنا يتمثل في كيفية خلق موقف على يسار حكومات الاشتراكية الديمقراطية على الصعيد الدولي، ليتسنى ممارسة الضغط الحقيقي عليها من خلاله. لم تخرج محاولات خلق حركة اجتماعية أوروبية حتى الآن عن نطاق التمهيد. وما أود التساؤل بشأنه كيف يمكننا كمثقفين الإسهام في هذه الحركة، وهي حركة ضرورية إلى أقصى حد، لأن جميع المكاسب الاجتماعية ـ خلافا لمنظور الليبرالية الجديدة ـ نجمت تاريخيا بفضل الكفاح الفاعل. لذا، إذا كنّا نريد «أوروبا اجتماعية» كما يقال في مرّات كثيرة، فإننا نحتاج إلى حركة اجتماعية أوروبية. وأعتقد أن على كاهل المثقفين مسؤولية هامة لتمكين حركة كهذه من الوجود، لأن قوّة النظام السائد ليست اقتصادية، فقط، بل هي ثقافية أيضا ـ تتموضع في حقل المعتقدات. لهذا السبب ينبغي الكلام على الملأ: لإعادة الشعور بإمكانية اليوتوبيا. وهي أحد المجالات الأساسية التي انتصرت فيها الليبرالية الجديدة عندما قتلتها، أو جعلتها تبدو موضة قديمة.

غراس: وربما يرجع السبب، إلى حقيقة أن الأحزاب الاشتراكوية، أو الاشتراكية ـ الديمقراطية آمنت جزئيا بفرضية أن زوال الشيوعية يعني أن الاشتراكية قد انتهت أيضا. فقدوا إيمانهم بالحركات العمالية الأوروبية، التي ظهرت إلى الوجود قبل الشيوعية بفترة طويلة. عندما يفترق الإنسان عن ميراثه الخاص، فهذا شكل من الاستسلام، وهذا يؤدي إلى التأقلم مع قوانين تزعم أنها طبيعية من نوع الليبرالية الجديدة. لقد ذكرت اضرابات العام ١٩٩٥ في فرنسا. حدثت في ألمانيا محاولات أقل شأنا لتنظيم العمال، ولكن تم تناسيها في وقت لاحق. وقد حاولت على مدار سنوات القول للنقابات: لا يمكنكم الاهتمام بالعمال، فقط، طالما كانوا يعملون، فعندما يفقدون العمل سرعان ما يسقطون في بئر بلا قاع، يجب إنشاء نقابة على نطاق أوروبا من أجل العاطلين عن العمل. نحن نشكو لأن توحيد أوروبا يجري على الصعيد الاقتصادي، فقط، ولكن ينقصنا محاولة من معظم النقابات للخروج من الإطار القومي إلى نوع من التعبئة والتنظيم يتجاوزان الحدود القومية. إن شعار العولمة يفتقر إلى الطعنة الخاطفة المطلوبة. مازلنا محصورين في النطاق القومي، وحتى في حالة بلدان تجاور بعضها، مثل فرنسا وألمانيا، لا نقوم بالاستفادة من التجارب

الفرنسية الناجحة، أو نعثر على رديف لها في ألمانيا، وفي أماكن أخرى، لنقف في وجه الليبرالية الجديدة المعولمة.

وفي الوقت نفسه يقبل العديد من المثقفين بكل شئ. لكن كل ما تجنيه من هذا القبول هو سوء الهضم، لا أكثر. يجب أن نرفع أصواتنا. لذلك، أشك أن الإنسان يستطيع الاعتماد على المثقفين بمفردهم. وبينما ما زال الناس في فرنسا يتكلمون باستمرار عن «المثقفين» ـ هذا ما يبدو لي على الأقل ـ فإن تجربتي الألمانية تقول لي إن من الخطأ الربط بين كون الإنسان من فئة المثقفين، وكونه في جهة اليسار. إن تاريخ القرن العشرين يقدم الكثير من الأمثلة المضادة: كان غوبلز مثقفا. وأن يكون الإنسان مثقفا لا يعني في نظري ضمانة كافية للجودة. يمكنني التخمين، فقط، بحقيقة الوضع في فرنسا. ولكن في ألمانيا هناك أشخاص اعتقدوا في العام ١٩٦٨ أنهم على يساري، واحتاج الآن لتحويل رأسي جهة اليمين لأتمكن من رؤيتهم ـ في اليمين المتطرف، إذا أردنا الدقة. بيرند روبهل، القائد الطلابي السابق، يتحرّك الآن في هذه الأوساط. هذا سبب آخر للتعامل مع تعبير «مثقف» بطريقة نقدية. يظهر كتاب «ثقل العالم» في الواقع أن العمّال الذين انخرطوا في النقابات طوال حياتهم لديهم تجربة أكبر بكثير في الحقل الاجتماعي من المثقفين. وهم في الوقت الحاضر عاطلون عن العمل، أو تقاعدوا. يبدو أن أحدا لا يحتاجهم. وما زالت قوّتهم غير مستثمرة.

بورديو: أراد كتاب «ثقل العالم» تخصيص مهمة أكثر تواضعا بكثير، ولكن مفيدة للمثقفين، خلافا لما تعوّدوا عليه. إن الكاتب العام [ربما المقصود العرضحالجي]، كما شاهدت في شمال أفريقيا، شخص يستطيع الكتابة وإقراض مهاراته للآخرين للتعبير عن أشياء يفهمونها أكثر منه. علماء الاجتماع في وضع شديد الخصوصية. فهم يختلفون عن بقية المثقفين، لأن معظمهم، بشكل عام، يجيد الاستماع وتفسير ما يقال لهم، ونسخه ونشره. ربما هذا يجعلهم مثل نقابة من نقابات الحرفيين في القرون الوسطى، ولكن أعتقد من المفيد لو ساهم المثقفون، في الواقع جميع من يملكون الوقت للتفكير والكتابة، في هذا النوع من العمل ـ الذي يفترض مقدما قدرة، نادرة تماما بين المثقفين، على التخلي عن ذاتيتهم ونرجسيتهم.

غراس: ومع ذلك، عليك جذب المثقفين المتعاطفين مع الليبرالية الجديدة. وقد لاحظت وجود واحد أو اثنين في هذا المجال الرأسمالي ـ الليبرالي الجديد، الذين إما بفضل نزعتهم الفكرية، أو تدريبهم حسب ميراث التنوير، شرعوا في إبداء بعض الشك تجاه هذا الانتشار المنفلت من عقاله للمال في العالم، هذا الجنون الذي انبثق داخل الليبرالية الجديدة، هل ينبغي تركه بلا مقاومة، مثلا الاندماج الذي يحدث بلا سبب أو هدف ويؤدي إلى فقدان ألفين أو ثلاثة أو حتى عشرة آلاف من الناس لوظائفهم، وأسواق البورصة التي لا تعكس سوى مضاعفة الربح إلى أقصى حد ممكن. نحن

نحتاج إلى حوار مع هؤلاء الأشخاص.

بورديو: للأسف، الأمر ليس مجرد مجابهة الخطاب السائد، الذي يهندم نفسه باعتباره حكمة جمعية. لمحاربته بفعالية نحتاج إلى نشر وتعميم خطاب نقدي. نحن في هذه اللحظة، مثلا، نتكلم في مقابلة تلفزيونية، والهدف ـ بالنسبة لي، وأعتقد بالنسبة لك، أيضا ـ الوصول إلى جمهور أوسع من دائرة المثقفين. أريد إحداث نوع من الشرخ في جدار الصمت هذا. فالمسألة ليست مجرد جدار من المال فقط. التلفزيون، هنا، مسألة ملتبسة: فهو الأداة التي تمكننا من الكلام، وفي الوقت نفسه الأداة التي تفرض علينا الصمت. نحن نتعرض بشكل دائم للهجوم والحصار من جانب الخطاب السائد. الغالبية العظمى من الصحافيين شركاء غير واعين في هذا الخطاب، والخروج من دائرة الإجماع التي يحوز عليها مسألة بالغة الصعوبة. في فرنسا، كل شخص غير مرموق لا يمكنه الوصول من ناحية فعلية إلى الحقل العام. الشخصيات المكرّسة، فقط، هي التي تستطيع كسر الدائرة، ولكنها للأسف مكرّسة بفضل رضاها وصمتها، وهي تحرص على البقاء في هذا الوضع. القليل جدا يستخدمون رأس المال الرمزي الذي تمنحهم إياه شهرتهم للكلام جهارا والتعبير عن أصوات من لا صوت لهم.

غراس: كان فهمي للعمل الروائي دائما ـ أو إذا أردنا الدقة منذ رواية «طبلة الصفيح» فصاعدا ـ أن عليه سرد القصة من وجهة نظر الأشخاص الذين لا يصنعون التاريخ، بل الذين يحدث لهم التاريخ، سواء كانوا قتلة أو ضحايا، كانوا انتهازيين أو شركاء طريق، أولئك الذين يقعون في المصيدة. وقد استخرجت هذا الفهم من الميراث الأدبي الألماني ـ فرغم كل شئ، ماذا كنّا سنعرف عن الحياة في حرب الثلاثين عاما لو لم يكن لدينا كتاب غريملهاوزن؟ واعتقد هناك حالات مشابهة في فرنسا. إذا اعتمدنا على وثائق المؤرخين، نعرف الكثير بالتأكيد عن المنتصرين، لكن قصة المهزومين لا تكتب بطريقة مناسبة، هذا إذا كتبت أصلا. وظيفة الأدب هنا تقديم البديل لملء الفراغ، والتدخل عند الضرورة لمنح أشخاص بلا صوت حق الكلام. وهذا منطلق كتابك، أيضا.

ولكن أنت أشرت إلى التلفزيون الذي بلور ـ على غرار جميع المؤسسات الكبيرة ـ خرافاته الخاصة: التصنيف، الذي ينبغي الخضوع لما يمليه علينا. لهذا السبب نقاشات مثل نقاشنا نادرة الوقوع في القنوات الرئيسة، ولكنها تظهر في قناة Arte حتى هذا النقاش جوبه بالرفض في البداية من جانب هيئة شمال ألمانيا للبث الإذاعي والتلفزيوني، قبل راديو بريمن ـ فهو بعيد النظر، كما يليق بالمؤسسة الصغيرة أن تكون: وهذا هو الجانب الكوميدي في مسألة كهذه ـ اندس في الموضوع، وأحضرنا حول طاولة في مكتبي.

نقاشات الخمسينات والستينات أخلت السبيل لبرامج المقابلات الاستعراضية الطويلة التي

تضم عددا من الأشخاص Talk-show . لا أشارك، أبدا، في برامج المقابلات الاستعراضية الطويلة ـ هذا الشكل ميئوس منه، ولا يؤدي إلى نتيجة. ففي حمى الثرثرة، الفائز هو الذي يتكلم أطول، أو يتجاهل الآخرين تماما. عموما لا يقال شئ يستحق الاهتمام، فعندما يحدث شئ مثير للاهتمام، أو تحتل مسألة مكان الصدارة، يغير مقدم البرنامج الموضوع. كلانا يأتي من ميراث يمتد بعيدا إلى القرون الوسطى، ميراث المناظرة. شخصان، وجهتا نظر تختلف كلتاهما عن الأخرى، تجربتان تكمل أحداهما الأخرى، وإذا بذلنا جهدا حقيقيا يمكن الخروج بشئ ما، ربما نخرج بتوصية للتلفزيون: ضرورة العودة إلى شكل أثبت نجاحه، شكل الحوار النقدي، على غرار المناظرة.

بورديو: اتفق مع ما تهدف إليه. ومع ذلك ينبغي توفر ظروف خاصة جدا لمنتجي الخطاب ـ للكتّاب، والفنانين، والباحثين ـ لتمكينهم مرّة أخرى من امتلاك وسائل إنتاجهم. استخدم هذه التعبيرات الماركسية، التي تبدو موضة قديمة بعض الشئ الآن، عن قصد، إذ جرى تجريد الكتّاب والمفكرين اليوم من وسائل الإنتاج والنشر، ولم تعد لديهم أدنى سيطرة عليها، لذا يضطرون إلى طرح وجهات نظرهم في برامج قصيرة، بكافة وسائل الخداع والتمويه. حوارنا يتم بثه الساعة الحادية عشرة مساء، على قناة مشفّرة [لا يمكن مشاهدتها دون اشتراك] موجهة إلى المثقفين. وإذا حاولنا قول ما نقوله الآن في قناة عامة كبيرة، سنتعرض للمقاطعة ـ كما ذكرت ـ من جانب مقدم البرنامج، وبالتالي سنصبح عرضة للمراقبة.

غراس: ينبغي تفادي الوقوع في الشكوى، فقد كنّا دائما في صفوف الأقلية. والمثير عندما تنظر إلى التاريخ يتمثل في مدى أهمية الدور الذي تستطيع أقلية القيام به. تضطر الأقلية، بالضرورة، إلى بلورة تكتيكات وحيل خاصة، لتصبح مسموعة. أنا، مثلا، أرى نفسي مضطرا كمواطن لكسر قاعدة أساسية في الأدب: «لا تكرر نفسك». في السياسة، ينبغي التكرار المرّة تلو الأخرى، مثل الببغاء، تكرار الأفكار التي تعرف صوابها، والتي برهنت على هذا الصواب، وهذا أمر مثير للتعب الشديد ـ دائما تسمع صدى صوتك، وينتهي بك الأمر إلى التصرف كببغاء حتى أمام نفسك. ولكن من المؤكد أن هذا بعض العمل، إذا أراد الإنسان الحصول على مستمعين في عالم يفيض بأصوات مختلفة.

بورديو: ما يعجبني في عملك ـ قرني، مثلا ـ يتمثل في بحثك عن وسائل تعبير لتبليغ رسالة نقدية تخريبية إلى جمهور كبير العدد. ومع ذلك، الوقت مختلف جدا الآن عن زمن عصر التنوير. كانت الموسوعة سلاحا لتجنيد وسائل اتصال جديدة ضد الظلامية. وعلينا في الوقت الحاضر الكفاح ضد أشكال جديدة من الظلامية.

غراس: ولكن كأقلية، أيضا.

بورديو: هذه القوى أقوى بما لا يقاس من قوى الظلامية في عصر التنوير. نواجه مؤسسات إعلامية، ذات قوة هائلة، ومتعددة القوميات، وهي تحكم قبضتها على كل شئ تقريبا، ما عدا القليل من الجيوب. وحتى في عالم النشر، تزداد صعوبة نشر أعمال نقدية تحتاج الوقت والجهد. لذلك، أفكر، لماذا لا نحاول إنشاء أممية للكتّاب ـ سواء في حقل العلم أو الأدب، أو حقول أخرى ـ الكتّاب الذين ينكبّون على أنواع مختلفة من البحث. ربما تقول: كل واحد يخوض معركته الخاصة. ولا أعتقد أن هذه الحالة مؤثرة في ظل الظروف الحالية. وإذا كنت قد شعرت بأهمية هذا الحوار معك، فذلك نابع من محاولة البحث المشترك لابتكار وسائل جديدة لإنتاج وتبليغ رسالة ما. وبدلا من كوننا أدوات في يد التلفزيون يمكن، مثلا، تحويله إلى وسيلة لقول ما نريد.

غراس: لا بأس، هامش المناورة ضيق. يحدث الآن شئ أجده مثيرا للدهشة. لم يخطر لي من قبل أنني سأطالب بدور أكبر للدولة. ففي ألمانيا كان لدينا الكثير من الدولة دائما، الدولة التي تقف فوق الجميع للحفاظ على النظام. وكانت ثمة أسباب جيدة لوضع نفوذ الدولة تحت ضوابط أكثر ديمقراطية. ومع ذلك فإننا ننحرف اليوم إلى الوجه الآخر للتطرف، فقد تبنت الليبرالية الجديدة أعمق مطامح الفوضوية ـ دون أدنى شبه بها من ناحية أيديولوجية بطبيعة الحال ـ أعني تغييب الدولة بالكامل. رسالة الليبرالية الجديدة: فلتذهب، سندير نحن الأمور. إذا كانت ثمة إمكانية لإجراء إصلاحات ضرورية في فرنسا أو ألمانيا ـ أتحدث، هنا، عن إصلاحات، لا عن إجراءات ثورية ـ لا يمكن القيام بشئ منها قبل قبول مطلب الصناعة الخاصة بدفع ضرائب أقل، وموافقة الاقتصاد عليها. هذه عملية إضعاف للدولة بطريقة تتجاوز حتى أحلام الفوضويين، لكنها تحدث الآن ـ لذا أجد نفسي، وربما أنت أيضا، في وضع غريب، وضع المطالب بتمكين الدولة من القيام بمسؤولياتها، وضبط المجتمع.

بورديو: هذه عودة إلى ما تحدثت عنه من قبل. المفارقة أننا نضطر للدفاع عمّا لا يمكن الدفاع عنه. ولكن يكفي الكلام عن العودة إلى «ما يكفي من الدولة»، لتفادي الوقوع في شرك نصبته الثورة المحافظة. وأعتقد أن علينا ابتكار دولة من نوع مختلف.

غراس: كي لا نفهم بعضنا بصورة خاطئة. من الطبيعي أن الليبرالية الجديدة تريد التخلّص، فقط، من أنشطة الدولة التي تمس بالاقتصاد. إذ على الدولة حشد الشرطة، وتطبيق النظام العام ـ وهي أشياء لا تدخل في اختصاص الليبرالية الجديدة، ولكن إذا حرمت الدولة من سلطتها لضبط المجال الاجتماعي، ومن مسؤوليتها تجاه المستثنين من عملية الإنتاج، أو الذين لم يلتحقوا بها بعد ـ ولا أعني مسؤوليتها فقط تجاه المعاقين، والأطفال وكبار السن ـ وإذا ساد اقتصاد يمكنه الإفلات من كل أشكال المحاسبة، بالاندفاع نحو العولمة، فإن على المجتمع التدخل لاستعادة الرفاه والاحتياط الاجتماعي بواسطة الدولة. اللامسؤولية هي المبدأ المنظم للرؤيا الليبرالية الجديدة.

بورديو: استعدت في كتابك «قرني» سلسلة من الأحداث التاريخية، وقد وجدت بينها أحداثا بالغة التأثير. أفكر الآن بقصة الولد الصغير الذي يذهب إلى مهرجان يخطب فيه ليبكنخت، ويتبوّل على عنق أبيه. لا أدري ما إذا كانت هذه ذكريات شخصية، لكنها بالتأكيد طريقة مبتكرة في اكتشاف الاشتراكية.. كما أحببت كثيرا ما ذكرته عن يونغر وريمارك: فقد أظهرت بطريقة غير مباشرة قدرا كبيرا من المعرفة عن دور المثقفين كشركاء في أحداث مأساوية حتى عندما يبدو أنهم ينتقدونها. وكذلك تعليقك على هايدغر ـ شئ آخر مشترك بيننا، لأنني كتبت تحليلا نقديا ذات يوم عن بلاغة هايدغر، أثار الكثير من ردود الفعل حتى وقت قريب في فرنسا.

غراس: من الأشياء التي تثير دهشتي، إعجاب المثقفين الفرنسيين بيونغر وهايدغر، لأنه يقلب جميع الكليشيهات التي تحملها فرنسا وألمانيا عن بعضهما رأسا على عقب. فالإعجاب في فرنسا بهذا الفكر الضبابي، الذي كانت له نتائج مصيرية في ألمانيا، مسألة غنية بالعبث.

بورديو: فعلا ـ بقدر ما يعنيني الأمر، وبما أنني وقفت ضد التقديس الجديد لهايدغر، فقد تعرضت للعزل الشديد. لم يكن من السهل أن تكون فرنسيا يحاول الدفاع عن التنوير، في بلد يتجه بقوة نحو ظلامية حداثية. وأعتقد أن قيام رئيس للجمهورية الفرنسية بتوسيم يونغر كان حدثا فظيعا. وحتى الآن إذا حاولت في باريس وصف يونغر كثوري محافظ ـ حللت أعماله «النظرية»، يومياته في فترة الحرب حيث يصف حياته اليومية في فرنسا المحتلة ـ تصبح عرضة للاتهام بالفوضوية، أو القومية..الخ. إلى جانب ذلك، حتى وجود نوع من الأممية قد يعرّضك للاتهام في هذه الأيام.

غراس: أريد العودة إلى قصة ليبكنخت. كان من المألوف لدى العائلة المذكورة في القصة أن يذهب الولد مع أبيه. هكذا كان الوضع في زمن ويليام ليبكنخت، واستمر في زمن كارل ليبكنخت. يجلس الولد على كتفي الأب مستمعا إلى الخطيب الجماهيري. وما كان يعنيني أن ليبكنخت كان يستنهض الشباب من أجل حركة تقدمية باسم الاشتراكية من ناحية ـ وفي الوقت نفسه لم يلحظ الأب في ذروة حماسته أن الابن يريد النزول عن كتفيه. عندما يتبوّل الولد على عنقه، يضربه الأب، رغم أن ليبكنخت يواصل الكلام. وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى، يؤدي السلوك السلطوي لهذا الأب الاشتراكي تجاه ابنه، إلى انخراط الأخير فيها ـ أي ينتهي به الأمر إلى القيام بما حذر منه ليبكنخت. اتضحت لي هذه الخلاصة مع تكشف أحداث القصة ـ وهذا ما حدث في عملية كتابة كتابتها.

وإذا عدنا إلى الاحترام الذي يحظى به هايدغر ويونغر في فرنسا، ربما من المفيد أكثر للمثقفين الفرنسيين إبداء الاهتمام بالمفكرين الألمان في عصر التنوير. إذا كان لديكم ديدرو وفولتير، كان لدينا ليسنغ وليختنبرغ، وقد كان بالمناسبة سريع البديهة، وينبغي لإفكاره أن

تستهوي الفرنسيين أكثر من يونغر.

بورديو: إذا بحثنا عن مثل أقرب، فقد كان ايرنست كاسيرير من أهم الورثة الشرعيين لتقاليد التنوير، لكن شهرته في فرنسا كانت متواضعة في أفضل الأحوال، بينما كان خصمه الكبير هايدغر ناجحا إلى حد بعيد. أقلقني هذا النوع من تبديل المواقف الفرنسية والألمانية بصورة دائمة: كيف نضمن ألا يزاوج بلدانا بين الجوانب الأقل جاذبية فيهما؟ فغالبا ما يخرج الإنسان بانطباع ـ وهذه مفارقة تاريخية ـ أن الفرنسيين يأخذون أسوأ ما لدى الألمان، ويأخذ الألمان أسوأ ما لدى الفرنسيين.

غراس: رسمت في كتاب «قرني» صورة لأستاذ جامعي يتأمل خلال دروسه في يوم الأربعاء، بعد ثلاثين عاما، كيف تعامل كطالب مع الأحداث في أعوام ١٩٦٦-١٩٦٨. كان متأثرا في ذلك الوقت بفلسفة التسامي حسب المفهوم الهيدغري، وعاد إليها مرّة أخرى، وقد عاش حتى وصوله إلى المرحلة الأخيرة موجات من الراديكالية ليصبح شخصا ينتقد أدورنو ويعريه على الملأ. هذه سيرة نموذجية لتلك الفترة، التي نختزلها الآن بالحديث عن ١٩٦٨.

كنت في وسط تلك الأحداث. كانت احتجاجات الطلاب مشروعة وضرورية، وحققت أكثر مما يريد الناطقون باسم شبه الثورة في عام ١٩٦٨ الاعتراف به. الثورة لم تقع، لم توجد أرضية لوقوعها، ومع ذلك تغيّر المجتمع. وصفت في كتاب «يوميات حلزون» كيف سخروا مني عندما قلت إن التقدم حلزون. يمكن، بالطبع، تحقيق قفزة كبيرة إلى الأمام شفويا ـ كانت بهذا القدر تعبيرات ماوية ـ لكن المرحلة التي قفزت نحوها، أي المجتمع القابع تحتك، ليس في عجلة من أمره ليركض خلفك. أنت تقفز فوق المجتمع، وتشعر بالدهشة عندما تقف الظروف ضدك، وتسميها ثورة مضادة ـ حسب القاموس العنيد لشيوعية كانت تترنح حتى في ذلك الوقت. كان ثمة القليل من الفهم لأشياء كهذه.

بورديو: كتبت في ذلك الوقت كتابا بعنوان Les Heritiers وصفت بواسطته المواقف السياسية المختلفة لطلاب ينحدرون من الطبقة العاملة، والبرجوازية الصغيرة، والبرجوازية. كان الطلاب من أوساط البرجوازية هم الأكثر راديكالية، بينما طلاب البرجوازية الصغيرة أكثر ميلا إلى الإصلاح، وحتى إلى «المحافظة».

غراس: كانوا على الأرجح أبناء عائلات غنية أسقطوا على المجتمع صراعاتهم مع آبائهم، الصراعات التي لم يتمكنوا من خوضها، أو لم يملكوا الشجاعة الكافية لإخراجها إلى العلن، لأن ذلك يحرمهم من المال.

بورديو: كانت هذه الازدواجية واضحة جدا في حركة العام ١٩٦٨ التي كان فيها ـ كما في كل القلاقل الاجتماعية ـ عدة ثورات في الواقع. ثمة ثورة واضحة للعيان وبرّاقة، بيد أنها رمزية

وفنية، مظهرها الخارجي شديد الراديكالية، يقودها أناس أصبحوا لاحقا محافظين جدا. ثم على مستوى أدنى، كان آخرون تعتبر مطالبهم إصلاحية ـ ومثيرة للسخرية ـ في ذلك الوقت، أرادوا تغيير طرق التعليم، وتوسيع الفرص للحصول على التعليم العالي، أناس لديهم مطالب متواضعة جدا، لكنها واقعية، وتُقابل بالازدراء من جانب الأشخاص أنفسهم الذين أصبحوا محافظين اليوم.

غراس: كان ثمة وعي مضطرد في ألمانيا والبلدان الاسكندنافية في السبعينات مفاده أن السماح للاقتصاد بالاستمرار في استغلال الموارد الطبيعية، كما كان يفعل آنذاك، سيؤدي إلى تدمير البيئة: وقد ظهرت حركة أنصار البيئة في هذا السياق. لكن الأحزاب الاشتراكية، والديمقراطية – الاشتراكية واصلت تركيزها الأحادي الجانب، كما فعلت في الماضي، على القضايا الاجتماعية التقليدية، وتفادت موضوع البيئة تماما، أو رأت فيه حركة معادية لمطالبها. شعرت النقابات اليسارية، التقدمية في كل جانب آخر، أن الوظائف تتعرض للخطر بمجرد طرح موضوع البيئة ـ نظرة ما زالت مستمرة حتى الآن. وإذا كنّا ننتظر من اليمين، والطرف الليبرالي الجديد استخدام عقولهم، والعودة إلى رشدهم، ينبغي انتظار الشئ نفسه من جانب اليسار. يجب فهم حقيقة أن موضوعات البيئة لا يمكن فصلها عن مسائل العمل والتشغيل، وأن جميع القرارات يجب أن تضع في اعتبارها موضوع البيئة.

بورديو: صحيح. ولكن ما تقوله عن علماء البيئة يصدق، أيضا، على الديمقراطيين الاشتراكيين. الليبرالية الاجتماعية، البليرية [إشارة إلى انتوني بلير، رئيس وزراء بريطانيا] الطريق الثالث ـ هذه الابتكارات المفترضة جميعها وسائل لتذويت نظرة القوى المهيمنة في أوساط الخاضعين لهيمنتها. يشعر الأوروبيون، في أعماق أنفسهم، بالخجل من حضارتهم، ولم تعد لديهم شجاعة التمسك بتقاليدهم. تبدأ هذه العملية على الصعيد الاقتصادي، لكنها تمتد تدريجيا إلى المجال الثقافي. يشعرون بالخجل من تقاليدهم الثقافية، يعانون مشاعر ذنب متواصلة كلما دافعوا عن تقاليد يُنظر إليها وتتهم بأنها أصبحت لاغية ـ في السينما، في الأدب، وفي أشياء أخرى.

غراس: في بلادنا، ينظر جناح شرويدر في الحزب الاشتراكي ـ الديمقراطي إلى أنفسهم كمحدّثين، ويتهمون ما عداهم بالتقليدية ـ وهي عملية اختزال حمقاء بالطبع ـ ولا يملك أنصار الليبرالية الجديدة سوى مشاعر البهجة عند رؤيتهم كيف يرتطم الاشتراكيون والاشتراكيون الديمقراطيون بالأرض بسبب تعريفات فارغة كهذه.

بورديو: إذا نظرنا إلى مشكلة الثقافة: سررت عندما مُنحت جائزة نوبل، ليس لأنها تحتفي بكاتب جيد جدا وحسب، ولكن لأنها تحتفي بكاتب أوروبي مستعد للكلام بصوت مسموع، وللدفاع عن أساليب فنية قد يعتبرها آخرون موضة قديمة. لقد شنت الحملة ضد روايتك «بعيدا

جدا عن البلاد » بذريعة أنها موضة قديمة كأدب. وبالطريقة نفسها، تتهم الآن عملية الانقلاب التقليدية، والتجارب على الشكل، التي قام بها الروّاد ـ سواء في الأدب، أو السينما، أو الفن ـ باعتبارها أشياء مهجورة. وقد أصبح من الصعب بصورة متزايدة مقاومة نوع من الحداثة الزائفة، القادمة عموما من البلدان الأنكلو ـ سكسونية، والتي تطرح نفسها كتجاوز لأشكال أقدم، بينما تتخلف في الواقع عن الثورات الفنية في القرن العشرين.

غراس: بقدر ما يتعلق الأمر بجائزة نوبل: تمكنت من العيش جيدا بدونها، وأرجو أن اتمكن من العيش معها. قال البعض: «وأخيرا!» والبعض الآخر: «جاءت متأخرة»، بيد أنني أشعر بالسعادة الغامرة لأنها وصلتني في سن متقدمة، ما بعد السبعين. إذا حاز كاتب أصغر سنا، فلنقل قرب الخامسة والثلاثين علي جائزة نوبل، أتخيل أن تكون عبئا ثقيلا عليه، لأن التوقعات ستكون كبيرة جدا. الآن يمكنني الحديث عنها بنوع من المفارقة، ومع ذلك أفرح بها. لكن هذا يستنفذ الموضوع بقدر ما يعنيني الأمر.

أعتقد من واجبنا طرح عروض لا يمكن تجاهلها بسهولة. شركات التلفزيون الكبرى في حيرة من أمرها، أيضا، بسبب عبادتها المغلوطة للتصنيفات. علينا المساعدة قليلا لوضعها في الاتجاه الصحيح. يصدق الأمر نفسه على العلاقات بين ألمانيا وفرنسا، لقد حاربنا بعضنا، وأرقنا دم بعضنا حتى آخر قطرة تقريبا، ما زالت جراح البلدين في الحربين الأولى والثانية، وفي حروب ترجع إلى القرن التاسع عشر مرئية، ، كما قام البلدان بكل أنواع المحاولات البلاغية لتحقيق المصالحة. ولكن يدرك الإنسان فجأة أن ما يفرّق بيننا ليس الحاجز اللغوي، فقط، بل الجوانب التي تحظى باعتراف أقل. وقد أشرت قبل قليل إلى أحد تلك الجوانب: حقيقة أننا لسنا حتى في وضع للاعتراف بعملية التنوير الأوروبية المشتركة. كانت الأشياء مختلفة قبل هيمنة الأمة ـ الدولة. لاحظ الفرنسيون ما حدث في ألمانيا، والعكس صحيح. قام غوته بترجمة ديدرو، مثلا، وكانت هناك درجة من الاتصال بين جماعات في البلدين، كانت جماعات الأقلية تكافح لإشاعة التنوير، ضد أشكال الرقابة الموجودة في البلدين.

وقد حان الوقت لإعادة إنشاء هذه الصلة. كل ما علينا نشره يتمثل في أفكار ورثناها من التنوير الأوروبي ـ ومن فشل تطوراته اللاحقة. ما من سبيل سوى إصلاح التنوير بوسائل التنوير، تنقيحه كلما اقتضى الأمر. صحيح، نحن على صواب في إدانتنا لهيمنة الليبرالية الجديدة، وأوجه تصرفاتها الرعناء، ولكن علينا النظر، أيضا، إلى الجوانب التي وصلتنا بطريقة خاطئة في سياق عملية التنوير الأوروبي. وكما قلت من قبل، الرأسمالية في شكلها المتأخر، والاشتراكية في شكلها الخام، كلتاهما من نتاج عصر التنوير، وثمة ضرورة لتجلسا معا بطريقة ما على مائدة واحدة مرّة أخرى.

بورديو: أشعر أنك متفائل أكثر مما يجب. لست على يقين، للأسف، أن المشكلة يمكن طرحها بهذه التعبيرات، إذ أعتقد أن القوى السياسية والاقتصادية المهيمنة على أوروبا في الوقت الحاضر تهدد ميراث التنوير. في الآونة الأخيرة كتب المؤرخ الفرنسي دانييل روشيه كتابا أظهر فيه أن للتنوير معان مختلفة جدا في ألمانيا وفرنسا، وأن كلمة Aufklarung الألمانية، لا تعني الشئ نفسه الذي تعنيه كلمة Lumieres الفرنسية، رغم أن هذه تبدو شيئا مشتركا بين البلدين. ولكن ثمة فرق، وهي عقبة علينا تذليلها، إذا أردنا مقاومة تحطيم ما نربطه عموما بالتنوير ـ التقدم العلمي والتقني، والتحكم بذلك التقدم. نحتاج لابتكار نزعة يوتوبية جديدة، متجذرة في القوى الاجتماعية الحالية، ومن أجلها نحتاج ـ بمجازفة تبدو وكأنها تعيد الرؤى السياسية القديمة ـ لخلق حركة جديدة. النقابات بشكلها الحالي أشكال تنظيمية قديمة، يجب إصلاحها، تحويلها، وإعادة تعريفها، إلى جانب تحويلها إلى أشكال أممية، وعقلانية، تعتمد على مكتشفات العلوم الاجتماعية، إذا أرادت تحقيق الغرض منها بالكامل.

غراس: ما تقترحه يعني يوتوبيا. يحتاج الأمر إلى إصلاح عميق للحركة النقابية، ونحن ندرك مدى صعوبة تحريك ذلك الجهاز.

بورديو: ومع ذلك، لنا ادوار نلعبها في هذه اليوتوبيا. على سبيل المثال، الحركات الاجتماعية في فرنسا، أقل قوّة في الوقت الحالي مما كانت عليه قبل سنوات قليلة. تقليديا، كانت حركاتنا تمتاز بنظرة قوية، معادية للمثقفين، وهي محقة جزئيا. واليوم، بما أنها تعاني من أزمة، فإن الحركة الاجتماعية ككل، أكثر استجابة وانفتاحا أمام النقد، وأميل إلى التأمل بصورة متزايدة. أصبحت، فجأة، أكثر استعدادا لقبول أنواع جديدة من نقد المجتمع من حولها. وأنا أعتقد أن الحركات الاجتماعية التي تعتمد النقد والتأمل هي المستقبل.

غراس: أرى هذا الأمر بتحفظ أكبر. كلانا في سن تمكننا من الكلام بقدر ما تسمح الصحة، لكن هذا الوقت محدود. لا أعرف حقيقة الوضع في فرنسا. ولكنني أرى لدى الجيل الشاب من الكتّاب في ألمانيا بعض الميل والاهتمام بمواصلة تقاليد حركة التنوير في إسماع الصوت، والانخراط [في الشأن العام] وإذا لم يقم أحد بحمل العبء عن كاهلنا، بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فإن جزءا كبيرا من تقاليد التنوير الأوروبي معرض للضياع.